

الحل الهندسية

في شان وهران والجزيرة الاندلسية

للشيخ محمد ابي راس الناصري

مع ترجمتها الفرنسية وتعليقها

للجنرال بورييه

الحلل الهندسية

في شان وهران والجزيرة الاندلسية

- ١ طيب الرياح جميع ارض الله جسى
وبشرى البكم مع الجن والانس
- ٢ المشرق الافصى مع افصى مغربنا
والجوف والضد والاشجار والادس
- ٣ طوامى لاجرو اهل جزائرها
يفتح وهران دار الشرك والومس
- ٤ وحدثهم بويلات لنا سلبت
بطال ما رمت الاسلام بالتعس

- ٥ برد ربنا الكرة عليها لنا
فضينا ديننا منها قد كان في تنفس
- ٦ بجهنم شمر للحرب ميزارا
بحلل النصر ومرتدى بالرجس
- ٧ بكت عن جانب طرف عوافها
لم يستشر الا السيف وفنا الدعس
- ٨ هو محمد الباى لا راجد من
علا على مفرق الجوزا والخنس
- ٩ لم يثنى عن رجا غير مبتسم
حتى يزاوله بالسيف والفرس
- ١٠ فاد المغانب للجهاد رايدها
يغى كبحاح ذوى التليث والنفس
- ١١ جند عرمرم لا شيء يقوم له
يضيف عنه بضاللات والمبس

VERS 6. — Les copistes écrivent **متنرا** qui est préférable pour le mètre : mais Bou-Ras confirme dans le commentaire B l'orthographe de **ميزارا** qui est un substantif.

- ١٢ حتى افام على ارباض وهران لا
تحصى عساكرة بالعد واحدس
- ١٣ من كل فرم الى حكم العدا فرم
ليس بذي برف منهم ولا بنس
- ١٤ بالصفر لم يفس بالخرب المصيد له
ولا يفاس طويل الباع بالاحفس
- ١٥ ملا هنيا له التمكين ساحتها
سلاها تعدو في الاوعر كالوعس
- ١٦ وفام يها بامر الله منتصرا
كالصرام اهتز او كجود منجس
- ١٧ بنتها مغراوة باذن موالهم
الامويين امرا الاندلس
- ١٨ ثالث فرن خزر منهم فداسها
وملكهم في غاية العزوالشمس

VERS 14. — Le mot **خرب** a reçu un djezm à cause de
de la mesure du vers. Comm. B. — **الاحفس** synonyme de
فصير Comm. B et C.

- ١٩ ستة ست من رابع ازاحمهم
 من ذلك الثغر از داجة مع عجس
 ٢٠ ثم از الهم ايضا يوسف وعلى
 كما از الهم قبل عن ارض فاس
 ٢١ موحدون انوا من بعد ذا وعدوا
 استحوذوا عليها بى وسط السادس
 ٢٢ كانت من احسن مفعّل عمالتهم
 وامتنعت عن اخرهم ابى دبس
 ٢٣ ثم ال زيان سلك ملكهم
 قد دخلت وامتد لهم الى دلس
 ٢٤ بى وقتهم كان فطبها وعالها
 محمد ذو المقدار الشدم الحجس
 ٢٥ خلقهم من بعد موتهم ناميده
 ابراهيم الذى كان يسمو برجس

VERS 23. — On écrit quelquefois **ثَمَّ** au lieu de **ثُمَّ** mais Bou-Ras a écrit **ثَمَّ** pour faire trois syllabes.
 Comm. C.

٢٦ واقت له لما حج اهل مشرفنا
بل اقصى ذاك كاهل طوس مع فومس

٢٧ جلب ماء اليها فيد منبوعة
لذلك الشجر بابدع مقتبس

٢٨ ثامن فرون فد امرها المرينى ابو
حسن تمت يعة طرابلس

٢٩ بنا بها لاجر بيفاق كل بناء
ثم بنا الثانى حذو سجن المرس

٣٠ خامس عشر من عاشر اناخ بها
الاشبانيون اهل الشرك والرجس

٣١ حجاب الكفر فد احموا جوانبها
وعن دواعهم عجز ابو فلمس

٣٢ وعان دوى يطحتيها مجتنبها
على الايمان فلم يبل بمعتوس

٣٣ ورج ارجاها لما احاط بها
فابدلت شم اعلامها بالعطس

- ٢٤ وشحنيت بخنزيرهم وصلبانهم
مواضع لايمان بها ذو توس
٢٥ كم تليت بها من اية محكمة
يبعد طهرها فد ملئت بالنجس
٢٦ كانها ما حوت شمسا ولا قمرا
لم يدرفى الناس والعالى فى الندس
نظير ما فعل نعل بملطية
عُقب بالذل والصغار والوكس
٢٧ خلأ له الجوّ فامتدت بداه الى
ادراس ما لم تذلل رجلاه مختلس
٢٨ عمرها بعدنا بخبيث مالفه
شناطيظ كاليعابرة والتيس
٢٩ وسار سيرته فينا من اغفبه
وكلهم مفتقب ارغون وابرانس
٤٠ فى اخذهم سردانية ودانية
بلرم مازرة جزر جاليا نس

Vers 40. — Boa Ras écrit toujours يسندم : voir la note de la traduction.

- ٤١ فطان كوطجان ثم بلنسية
 مرية معتصم بها وبطليس
 ٤٢ لوشة بلشة وزد لها بسطمة
 وشنكروين اشترى منها بالخس
 يابسة يبست وادمها شنت
 فاذهب الكفر ما بها من ملس
 ٤٣ مرفنا من يابسة مع ميورفة
 يا ليتنا يحي مات لها من فابس
 بجانة وواد الحجار فد حجرا
 عن الغسانية والتي كابن اس
 ٤٤ طريقة دميرالردى تملكها
 فلم تدم لابن ابطس ولا ابطس
 ٤٥ اما على حمص احسنا وفرطبة
 صارت بها اضرحة الفصل في طمس

VERS 41. — فطان pour فطلان Comm. B.

VERS 43. — Il semblerait tout naturel d'employer ci-dessus le verbe *مرفنا* qui donne un sens très naturel. Mais Bou-Ras a employé *مرفنا* nous nous sommes écartés comme une flèche qui manque le but ; il l'explique dans son Commentaire. C'est évidemment pour jouer sur le radical *مرف* qui se trouve dans *ميورفة*

- كان لم يصرخ فاسم في رصبتها
زاد اكتاب البها رصبا في النعس
٤٦ يياش فمرش أبدا ثم طرطوشة
اشبون اجراغ وفرمون مع فادس
شدونة مدرور بطشانية
بلكونة فرطش عين الدين في خنس
٤٧ الكضرا واحمرا وفورة عفانية
وجبل البتسح فد صار للانجلس
٤٨ وواد آس ونهر لوك فد منيا
فتلا وسبيا وششتير واندريس
طخارش بطرزج يا بئس ما فعلا
ككورة اشكونية وبجانس
٢٩ فد جرابن مالك من جياته
كذا على وفر نحوى الكهس
٥٠ واين ملك بني عباد يا اسقى
كانوا يظنون ان ليس بمندرس

واين نجل زيدون ومصيصهم

واين نجل عمار كابي نواس

٥١ من بعد غلبنا باريك وزلافة

وغير موطن مرنا بعد في التعس

٥٢ مذ غاب يوسف ويعقوب اجترت

عذا زعيم جليفة واكيس

رميمة وبرطانية ثم ابيجة

يحب برشترة لجند اردميس

٥٣ لرجالته وجلانيته انسطت

يد جليفة بعد القبض من حبس

٥٤ من لي بغزوة تجلى الكرب يا اسفي

كغزوة النصرى الناصر المرينى او حبس

صلاح اصلح الدين من فذاذقه

ونوره شجوبى حلق ابرنس

٥٥ ما لت ملوكنا كضيض رحلتهم

واكلونا كاكل الداجن العلس

٥٦ واعرضوا عن جهاد الكفر باطنة

حتى ارتقت مصرنا العظمى بمرمرس

٥٧ يا ليت جند كجند العابدى لنا

لا يحصى من ذا يعد وثبة العدس

فيا لابرار لفجار وفجرنا

ورولة وارجون مع باجة اندلس

٥٨ كانت جزيرة لاندلس طيبة

عادت بفدر العوافى افبح الضبس

٥٩ وركدت ريح النصر فى مواطنها

لما جرى بين املاكها من شخص

٦٠ عدة احفاب وهم فى منافسة

لذا تعدى ملوك الصبر اندلس

٦١ بموت نجل ابي زيد واضرابه

وفتى عامر اجترا كالشهبس

٦٢ يا حسرة لمعالم لايمان بها

فصارت مدته كسنة الكبس

٦٣ اخذ منا روندة مألطة
زعانيف الوثن ذوو الفبح والكعس

٦٤ زاهرة والزهرآ مرد سرفسطبة
فسطلة ورباح آل للبحس

٦٥ ودمر الفندش تدمرو مرسية
ذافت مذاف ذى اللام من اهل البرس

سجونة شجوها شجى الايمان بها
فلالش افليش وشغة والبيرفى الركنس

٦٦ طليطلة هي باكورة فتحهم
من الهوارى رجعت لادفندس

٦٧ اخر ذلك غرناطة حل بها
مالافت شفرة من الويل والركس

VERS 63. — Le Com. C indique la prononciation مألطة nécessaire pour le mètre. Néanmoins cet hémistiche est incomplet. Il l'est également dans B où on lit : اخذوا : روندة لبلى ومألطة . Il faudrait probablement combiner les deux et lire :

اخذ منا روندة لبلى ومألطة

٦٨ من بعد عز بنى نصر وموافها

طاغية ينظروهم نظر الشوس

بلا بلای فلا تفش اليه بلا

اربول بلبونة وفصرة في البلس

٦٩ يا شرما جنت بقة العباب

بها سامت عوافب فطر اندلس

٧٠ طريقة اظرفتهم بما اوهننا

بد الجزيرة صارت منا في ايس

٧١ كانما ما تفضت بهيل لنا

وسهلة بالمام شهى اللعس

كانما ما تفضت بالعذيب لنا

بمعسول النما راق شهى اللعس

٧٢ ولا فضينا على اكناف شاطبة

بوصل سلمى زما غير منعبس

ولا قضينا على اطراف كاظمة

بوصل سلمى زما غير منعبس

٧٣ ولا سجعنا على واد شريش دما

من منكر الدن اذ يحي ويرتمس

ولا سجعنا على واد بن الخير دما

من منكر الدن اذ يحي ويرتمس

١٤ ولا شادت غير بنادى وشتالة

كان في اجفانها سنة النعس

٢٥ اجبل بيننا وبين جزيرتنا

وسدت ابواب غزوها لملتمس

١٦ ولا عدت جياذ بفحص بليفتنا

واندرشنا من التوجيه مندرس

ولم نعوثر نواد بفرفشون لنا

تدير غلمانها عليهم بالكوس

ولم يدرس عمر بشلبونتنا

فالنحو صار بها في غاية المدرس

فغربت ما ذكر لنا فشتالة

وشاليب وسمورة ذوو الومس

٧٧ كانوا لم تكن طوى بفصتنا

ورعبنا فد فلانيرة واندرس

برشانة بسلتها عن صنع بركشنا

وهاهم فتیان فتیانہ فی البخس

٧٨ هاجم الى لان بسبنة بعدوتنا

ومليلة ونكور مع بئاس

٧٩ وما سوى ذلك مما اخذوه لنا

ككادر وما حوله من المرس

٨٠ محمد وابنه رذاه فاطمة

وطهوت به منهم ارض سوس

٨١ وبستيان اخزي بالمخاري لفد

من ابى مروان ابتلى بالنفس

٨٢ عرائش وطنجة ثم مهدية

بريجة اخذنا من ادا برفس

٨٣ بحرب اسماعيل ثم جرها حابده

وكسفت بسبنة اضواء الشمس

٨٤ وفيض الله لاندراكت بمزغنة

حرب وهران دار الشرك والاس

فأراها الباشا ابن خير الدين أولهم
وبرج مرساها فد رماه بالتعيس

٨٥ أناها باشا إبراهيم وسط حاد
من الفرون من بعد الب للوطس

٨٦ فام بالمائدة حيث يزاولها
ثم ففى درجه من فتحها ابس

٨٧ أخره شعبان الزناكى حاصرها
فامتعت وشمست ايما شمس

٨٨ أوطى العليق الجرار لارضها
به همت دموعهم ومن زكى وخس

٨٩ دارت حروب عظام بينهم فد انى
أخر امرها باستشهادة النفس

٩٠ وبعد الب ومائة فى نفط يب
جهاز اسماعيل لها افاصى سوس

VERS 88. — أوطى dans les deux manuscrits C et B,
mais la mesure du vers exigerait أوطًا.

- ٩١ واهل تمسنى الى اهل ملوية
ووجدة ومغفل وبنى يزنس
- ٩٢ فحط كل كلكه حولها معتزما
على النزال فلم يجد محل بس
- ٩٣ فام يهيدور اياما يحتال لها
فد استعان بما حولها من مخس
- ٩٤ اعينه حيلتها حزما ومنعتها
عقاب جو فد ارتقى عن الحرس
- ٩٥ بفال هذه ابعى تحت صخرتها
تضر لا الضريانى لها من انس
- ٩٦ فد حلفت بجروس من غير غافلة
بل يسمعون حسيس لا تى كالحس
- ٩٧ لما اراد الله عود لايمان لها
افام باجزائر مذهب الدمس
- ٩٨ محمد باكداش اصحى باشتنا
فد باق لا كعاجى الدها والدعس

٩٩ جهازعنا بالاثراى مشحنة

فى شرفها نزلوا فى برها اليبس

١٠٠ مدافعا وعرادات ائانا بها

اضحى لذلك حزب الكفر منبش

١٠١ بكل حين ازن حسن يزاولها

و فانق مصطفى ذو الباس والفرس

١٠٢ بفتحت عنوة فى تسع عاشرة

من بعد سكنى ره والدبن فى وكس

١٠٣ عافية الغدر للبوار فد فررت

سنة ربنا فد سنها فى جدس

١٠٤ اصحت مونتع امن للانام وفد

كانت بها طيبات الانس فى دنس

١٠٥ فدمر بعد عشر استغل بها

بغاية حددت كالعدول للفرس

١٠٦ حكم الاله كما ترى فدره

لو شأ ما ملكوها عشر النفس

- ١٠٧ من بعد عشر وعشر ثم أربعة
عادوا إليها فرة عين الشمس
١٠٨ فملكوها بلا كبير محنة
. لاكن في الأولى بخدعة منخيس
١٠٩ فمرة اتباعوها غير غالية
كيف يباع ثغر وهران بالبخس
١١٠ اتوها طوريس انتقدوها عامرة
وعد عليها اليهم غير منخيس
١١١ خلا لها الجوصرفا واطمانوا بها
وفد تجلت للكبر جلوة العرس
١١٢ ياله من ثغرا صحن امله جزرا
للنايات واتجد منه في الشمس
١١٣ مدينة العلم ولايمان حل بها
ما حل بالحصن من الخبس والخبس
١١٤ من كل شارفة كلامام بارفة
مأتمها عاد للأعداء كالعرس

- ١١٥ تفاسم الروم لا نالت مفاسمهم
غرغايها المحجوبة النفس
١١٦ كانت حدائب الاحداق موفقة
بصرح النضر في بلادواح بالدحس
١١٧ من محاسنها طغى اتيح لها
اكتحل بالسهر لها مكثرا الحوس
١١٨ ما سهى عن هضمها حينما فد حربها
ولا تكسر في التواني والنفس
١١٩ صارت تدور لنا طورا واعدائنا
وكلما وعدتنا فهو في ركس
١٢٠ حتى تداركها الله براقته
من بعد ما مضى لها مدة العنس
١٢١ بتقليد المغرب الوسط لعدتنا
اضاء شمس بعد حالك الغلس
١٢٢ ملك تفلدت الاملاك سيرته
دينا ودينا تراه محسن اليس

۱۲۲ مویّد لورمی نجما لا یتنه

ولو دعی دبلا لبی وما احتبس

۱۲۴ شهم همام بحزم الملك متزر

ومرقد النصر وفی اکلم ذو طخس

۱۲۵ بملک آل منذیل تحت سلطانه

فد کان مذ من واجر الی تنس

۱۲۶ کذاک ملک نجین فی ایالته

کذا اجد دار الفدیم المتفن الاسس

۱۲۷ ملک لآل یغمور فیه نصرتههم

کذا ملک بنی یعالی لابرینی الروس

۱۲۸ لشعنب ومصاب مدت طاعته

علی مصافات شتی من ابی ضرس

۱۲۹ بمهد الکمل برخص وعافیه

فد امنوا کلهم عوافب القدس

۱۳۰ محمد بن عثمان نجم سعدهم

رصد من کلب یصمی ومن سجنس

- ١٢١ مدة ست وسبع من امارته
حل بساهل وهران الويل في التفس
- ١٢٢ عمر كل مرصد كان مسلكهم
باخييل والرجل مع حلف العسس
- ١٢٣ طلبه اتخنوا فيهم وعائوا فلا
تفسهم بفييس فييس ولا ييهس
- ١٢٤ احيوا مراسم عفت من شيوخهم
احمد ومحمد او ابن يونس
- ١٢٥ سنة خمس انى لها بكلكله
جند عظيم ما بين الشهم واخوس
- ١٢٦ طبانات وعراذات احاط بها
كانها بينهم كحلفه المجلس
- ١٢٧ تكاد تصدع الشامخات مدافعه
رعد سحاب صديم الصفق والجرس
- ١٢٨ يعنى القنا وما يعنى له حرب
كانه من صروب الدهر لم يثس

- ١٣٩ يشيب من حربه رأس الغراب ولا
يشيب رأس نهار دائم الغلس
- ١٤٠ يسود مبيض وجهه من جاه ولا
يتنض مستوده من شد الدمس
- ١٤١ ينفع خيله ودخان باروده
يوم حليلة او كرج لارمانيس
- ١٤٢ فجار بطريفها من باسم جرفا
وفلبه مملو بالرعب والوجس
- اخبارها فد طارت في الارض فاطبة
لافيئا في امدوجات من ورا فابس
- اوبة حجتنا بفلنا هنثا لنا
وصلنا حج الجمع بالجهاد النعس
- ١٤٣ عدة اشهر الكرب يساجلنا
طالع سعد له عليهم بالنحس
- ١٤٤ فطلبوا السلم من بعد مراوضة
باعطوا الامان على الامتع والنفس

١٤٥ فكانت مدتهم في هذه كعج
جری بذلك الفلم فدما في الطرس

١٤٦ هم يخربون بيوتهم بأيديهم
فاعتبروا يا ذوى الابصار والنفس

١٤٧ بنو النظير في الحشر سبفهم بذا
بكيف بالروم يفعل اليهود قس

١٤٨ اعقب سعيهم الخسران وانبعوا
في ذات ما مضى بجرة او تونس

١٤٩ نصرى وهران تركوها غامرة
فالحمد لله امننا من الهجس

١٥٠ بابى عثمان وعثمان فد رجعا
الينا ما يسلى عن ارض اندلس

١٥١ رماهم الله بالملك اميرنا
رمية سهم اتتهم على غير فس

١٥٢ افام احوالا للاعداء منوعة
بالمكر والكيد والانفاض والدسس

- ١٥٢ فطهر الشجر منهم اعظم نجس
وذو خبائث مع البعش والكفس
- ١٥٣ بصر بالتوحيد تعلوا اباطحه
على الربا النقية من الحيس
- ١٥٤ بذى السعادات الذى لا يقاس به
وذى الدها الجم يغنيك عن النبس
- ١٥٥ بماضى الحزم ولاقدام منزرا
ان عالج الداء كان غير منتكس
- ١٥٦ محى الذى كتب التجسيم من ظلم
واثبت التوحيد ودام كالحبس
- ١٥٧ لم يغن عنه مرجاجه واضرابه
ولا الجيوش ذوى اليلب والترس
- ١٥٨ امس على الربع للتميز منتصبا
عن خبض عاملها حالا من ملتبس
- ١٦٠ لا غرو ان قال مجدا ليس يدركه
سواه اذ عرفه فى المجد منغمس

- ١٦١ ان لامارة كانت ولايته في
اسلافه عرفها مخضر لم ييس
- ١٦٢ دم في تصرف ما اوليته ابدا
وارض سعدت بين الخصب والدهس
- ١٦٣ فرع من هو ذونكس وذو الفس
فانبعث الكل للنداء والعهدس
- ١٦٤ مدينة حلها التوحيد مبتسما
جذلان وارحل التلث في باس
- ١٦٥ من بعد ما صيرها العانيون بها
يستوحش الطرب ما انس من انس
- ١٦٦ شيدت مساجدنا وهضمت بيعا
اذاننا الحق فد بطش بالجرس
- ١٦٧ ابدلها الله يعزى اسفاهم
مدارسا مالها للعلم من درس
- ١٦٨ وغير الاسلام العالي معالمها
واذهب اللين من ذلك كالشرس

- ١٦٩ ما هي فد غصت وطابت جوانبها
وثوب وشيها فد صبغ بالورس
- ١٧٠ حبائل الشرك لا تخفى غوابلها
فد فبر الكهر في اغامق الرمس
- ١٧١ ففد سفاها لاله العالمين حيا
منار لاسلام ضاء بها كالنفس
- ١٧٢ فاعت يفرد المولى من بعد بكمتها
ما بها من صم يرى ولا خرس
- ١٧٣ زهت باميرنا محمد وغدت
تميل اعطافها من شدة البهس
- ١٧٤ ييدى النهار به من ضوءه شبا
كهالة البدر ان ركب في الخمس
- ١٧٥ اعلامه كعقبان الجوحائمة
يحقق من حولها شهب الفنا حرس
- ١٧٦ ما زال حظه للاقبال منتبها
ككوكب سعدة ضاء غير منطمس

١٧٧ حيث المنا كان طوعه وقابله

سعد السعود برأيه كالطرس

١٧٨ في خامس البعد اضحى يوم اثنينه

كان الدخول بعون المالك القدس

١٧٩ سنة ست ثم الحمد لخالفنا

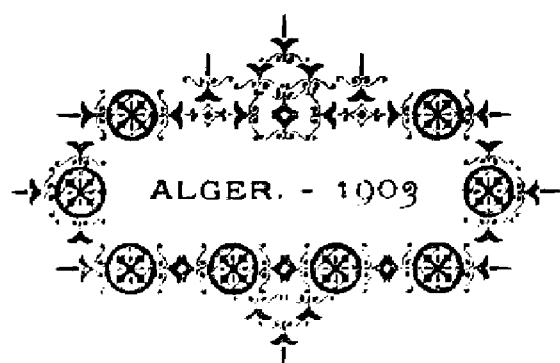
ما زكى الصلاة على المنفى من الرجس

١٨٠ باناء ابريز ختم من رحيب

جبرائيل اعطيه من نهر القردس

١٨١ وصحبه الذين احد لو كان لنا

لم يعب بالمد لهم بل ولا الخمس



LES

VÊTEMENTS DE SOIE FINE

Au sujet d'Oran

et de la Péninsule espagnole



Les Vêtements de Soie fine

AU SUJET D'ORAN

ET DE LA PÉNINSULE ESPAGNOLE

POÉSIE

du Cheikh Mohammed ABOU-RAS EN-NASRI

TRADUCTION

PAR

Le Général G. FAURE-BIGUET

ALGER
IMPRIMERIE ORIENTALE P. FONTAN
1903

INTRODUCTION

Le Cheikh Mohammed Abou-Ras en-Nasri, de Mascara, a laissé une autobiographie dont j'ai traduit et publié les parties essentielles dans la *Revue Asiatique* de 1900. On y trouve la liste de ses ouvrages, parmi lesquels figurent les Commentaires de sa Cacida sur la prise d'Oran. Le titre de ce poème se présente avec les variantes suivantes :

الحلل السندسية في شان وهران والجزيرة الاندلسية
الحلل السندسية فيما جرى بالعدوة الاندلسية

Les manteaux de soie fine, au sujet d'Oran et de la Péninsule Espagnole.

Un texte de cette cacida se trouve dans le Commentaire traduit et publié par M. Arnaud. Celui que je donne ici est emprunté à un autre Commentaire; il

diffère très sensiblement du précédent; il présente de l'intérêt parce qu'il peut être considéré comme la dernière édition de son œuvre donnée par le poète. Pour comprendre sa genèse, quelques explications sur les divers textes du poème et sur ses commentaires seront utiles.

Il existe, à ma connaissance, trois Commentaires que je désignerai par les lettres A, B, C. Le texte que je donne ici est extrait du troisième Commentaire C.

A — La traduction de ce Commentaire a été publiée par M. Arnaud. Je ne connais pas le texte qui lui a servi. On en trouve une variante à la Bibliothèque Nationale, sous le n° 4618. Le titre est : عجائب الاسفار و لطائف الاخبار *Voyages extraordinaires et nouvelles agréables*. Il y a sans doute une fin de titre qui n'a pas été donnée.

La *Cacida* contient 118 vers. M. Arnaud n'en donne que 117; mais il est facile de voir qu'il en manque un après le quarantième vers. Le voici tel que je l'ai trouvé dans une copie du poème appartenant à M. Guin :

اول العام من الفرون ثاني عشر
جمع اسماعيل لها افصى السوس

Dans les premières années du XII^e siècle, Ismaïl réunit contre elle les forces des parties du Soûs les plus éloignées.

Ce vers est indispensable; c'est le seul où l'on trouve le nom du Sultan Ismaïl, qui donne lieu cependant à six pages de commentaire (p. 119 à 124). Le premier

hémistiché est obscur ou incorrect ; on en verra plus loin l'explication.

Le Commentaire a été écrit du vivant du bey Mohammed, qui mourut en 1796. Cela résulte de plusieurs passages ; dans l'un d'eux notamment, page 100, le poète souhaite au Bey une vie opulente. Il a donc été écrit plusieurs années avant le voyage de Bou-Ras au Maroc, qui eut lieu en 1801 et 1802.

B — Le manuscrit existe à la Bibliothèque Nationale, sous le n° 4619. Il y a quelques années, quelqu'un qui connaissait l'écriture du Cheikh, m'a assuré qu'il était de sa main. Je n'ai pu savoir comment il était arrivé à la Bibliothèque Nationale ; d'après son examen, j'ai lieu de croire que c'est celui qui a appartenu au général Dastugue. Les dernières pages sont mutilées. J'ai vu en Algérie deux manuscrits, qui s'arrêtent court précisément au point où commencent les mutilations ; ils dérivent donc de celui de la Bibliothèque Nationale (1). L'un d'eux appartenait au muphti d'Oran, Si Ali ben Abd er-Rahman ; il mérite d'être signalé pour le cas où il tomberait sous les yeux de quelque érudit : c'est un chef-d'œuvre de calligraphie ; il est fidèlement copié. Cependant le copiste, qui était un homme instruit et pieux, a cherché à rectifier des mots douteux ; il a ajouté quelques mots utiles, mais non indispensables pour l'intel-

(1) Voici une autre preuve matérielle de cette origine. Le manuscrit de la Bibliothèque Nationale a été rogné à la reliure, et un mot qui était en marge a été tronqué, de telle sorte qu'il est difficile d'en supposer la fin. Dans les deux manuscrits dont je parle, on a laissé en blanc la fin de ce mot.

ligence du texte, et un grand nombre de formules pieuses, telles que *رضى الله عنه*, *رحمه الله*, etc. Tant qu'on n'aura pas trouvé un manuscrit donnant intégralement les parties mutilées, celui de la Bibliothèque Nationale devra être considéré comme étant la source de tous les autres.

La *Cacida* contient 135 vers. Un quart de ceux-ci se retrouvent sans changement dans la *Cacida A*; environ la moitié s'y retrouve avec des modifications plus ou moins importantes; le reste est entièrement nouveau. Pour les nouveaux vers, le poète ne s'est pas mis en frais d'imagination; dans le but de donner prétexte à ses récits historiques sur l'Espagne, il aligne des noms propres dans des vers du genre de ceux-ci :

فطان افطننا بلنسية
مريّة فطلّة يفور بطليس
لوشة بلشّة يحصب بسطمة
وشتريين اشترى منا بالبخس

La Catalogne, où ils nous réduisirent en servitude, puis Valence, Almeria, Cabtal (l'Isle Mayor), Yacour, Badajoz.

Ils nous ont acheté à vil prix Loja, Velez, Yahcib (Aloala la Real), Baza et Santarem.

Un autre vers contient à lui seul neuf noms de villes. Ces théories de noms propres ne sont ni poétiques ni harmonieuses; mais elles convenaient bien au but poursuivi; elles avaient aussi l'avantage de faire naître l'occasion d'un grand nombre de jeux de mots que l'auteur

saisissait avec empressement. La Catillogne et Santarem nous en offrent des exemples dans les deux vers ci-dessus. Le vers qu'on trouvera ci après, sous le n° 47, est consacré à jouer sur les noms de couleurs, le n° 159 à jouer sur les termes grammaticaux.

Le Commentaire est surtout consacré à l'histoire d'Espagne; cependant on y trouve un peu de tout, depuis le schisme de Samarie jusqu'à Napoléon. Il a été composé après 1814, car la paix qui termina enfin les luttes des Espagnols et des Français, sous l'Empire, y est mentionnée ainsi que l'expulsion de ces derniers. Il est donc postérieur à A. On y lit le passage suivant :

وفد كنت كلبت بشرحها وفد بيضته في مرتيل
موسى قيطوان لما بعثنى من هناك السلطان سليمان
ثم ثبيت عنان العلم ثانيا وسميته الخبر المغرب
عن الامر المغرب الحال بالاندلس وثغور المغرب كما
سميت الشرح الاول روضة السلوان المؤلفة بموسى
قيطوان

J'avais entrepris de faire un Commentaire de ce poème(1).... je l'avais rédigé (ou copié) à Martil, port de Tétouan, quand le Sultan Soleïman m'y envoya pour m'embarquer.... puis j'ai tourné la bride à ma plume pour faire un second commentaire que j'ai appelé :

(1) Les parties représentées par des points n° contiennent que des répétitions, ou des éloges du Sultan ou de la Cacida elle-même.

« *Récit explicatif des choses remarquables arrivées en Espagne et dans les places du Mag'reb* », de même que j'avais nommé le premier : « *Jardin de la Consolation, composé dans le port de Tétouan* ».

Ce passage est clair; il nous donne le titre du Commentaire B; mais à le prendre au pied de la lettre, le premier Commentaire aurait été composé au Maroc, c'est à dire en 1802, sous le titre *Jardin de la Consolation*, tandis que nous en connaissons un, le Commentaire A, *Voyages extraordinaires*, qui a été composé avant 1797.

Voyons si l'autobiographie va éclaircir la question : Bou-Ras y mentionne l'incident du *Jardin de la Consolation*, composé ou copié à Martil, dans le but d'obtenir une récompense du Sultan Soleïman; mais il ne fait à cette occasion aucune allusion à ses autres ouvrages du même genre. Plus loin, dans la liste générale de ses œuvres, les titres se succèdent, simplement séparés par la conjonction و, et comme ils se composent généralement chacun de plusieurs parties séparées par la même conjonction, il est souvent difficile de distinguer un titre du suivant. On y lit :

والنظم المسمى بالكلل السندسية فيما جرى بالعدوة
الاندلسية وشرحها لأول الفصص المغرب عن الخبر المغرب
عما وقع بالاندلس وتغور المغرب والناسي غريب الاخبار
عما كان بوهرا من الاندلس مع الكبار ورصوة السلوان
المؤلفة بمرسى نيطوان الخ

Et le poème intitulé « *Les manteaux de soie fine, sur ce qui est arrivé dans la Péninsule Espagnole* » et ses deux Commentaires, le premier : « *Récit explicatif des choses surprenantes arrivées en Espagne et dans les places du Mag'reb* », et le second « *Histoire extraordinaire de ce qui est arrivé à Orán et en Espagne avec les Infidèles* », et le « *Jardin de la Consolation, composé dans le port de Tétouan* » etc.

Ainsi Bou-Ras annonce deux Commentaires et il donne trois titres, en sorte que, si nous ne savions pas que le troisième titre, *Jardin de la Consolation*, est aussi celui d'un Commentaire, nous croirions que c'est un ouvrage tout différent qui vient à son rang dans la nomenclature générale. Remarquons aussi qu'aucun des deux premiers titres donnés n'est identique à un de ceux que nous connaissons déjà. Mais ces différences n'ont pas de quoi nous étonner sous la plume d'un auteur arabe, et de Bou-Ras moins que de tout autre. Dans le premier titre on reconnaît celui de B, et dans le second celui de A ; seulement, par une de ses inadvertances habituelles, l'auteur les met dans l'ordre inverse de l'ordre chronologique. Je ne vois qu'une explication qui rende assez bien compte de ces anomalies.

Bou-Ras compose d'abord un premier Commentaire A, *Voyages extraordinaires*, qui est celui de M. Arnaud. Il l'écrivit du vivant du Bey Mohammed, sans doute avec l'espoir d'une récompense. Cependant peut-être eût-il une déception de ce côté, car je ne le vois nulle part vanter la générosité du Bey Mohammed, comme il le fait pour celle du Sultan Soléïmân. Plus tard, en 1801 et 1802, il se rend à Fès, où il fait hommage de plusieurs

ouvrages au Sultan. Au moment du départ, retenu à Martil par les vents contraires, il songe à mettre encore à profit la générosité du Sultan; à cet effet il recopie (بيعتن) ce Commentaire A, qui lui avait peut-être valu une déception; mais il en change le titre et l'appelle *Jardin de la Consolation*, ce qui a le double avantage d'avoir un air d'actualité et d'appeler par la rime en ^{ال} les noms de Sultan et de Solémân. D'après ce que nous savons de ses habitudes de travail, il est permis de croire qu'il remania son Commentaire et quelques vers de sa *Cacida*, de manière à y introduire à l'adresse du Sultan quelques uns de ces éloges hyperboliques dont il est si prodigue dans l'autobiographie. Il aurait été bien difficile de composer un ouvrage entièrement nouveau, car il fallait se hâter pour que la récompense espérée eût le temps d'arriver avant le départ du navire. Elle arriva en effet. L'ouvrage envoyé à Fès s'y trouve probablement encore dans quelque bibliothèque.

Plusieurs années plus tard, après 1814, Bou-Ras voulant mettre à profit ses connaissances sur l'histoire d'Espagne, remanie sa *Cacida* par le procédé indiqué plus haut, et lui adjoint le Commentaire B, qui est le second. Il y mentionne dans la phrase citée ci-dessus le Commentaire A, en l'appelant seulement par ce titre, *Jardin de la Consolation*, qui lui rappelait un souvenir agréable.

Enfin, dans l'autobiographie écrite après 1818, il donne dans leur intégralité les titres de ses ouvrages historiques, afin d'indiquer à quelle partie de l'histoire se rapporte chacun d'eux. C'est ainsi qu'il donne les titres complets des Commentaires A et B; seulement il le fait par à peu près, et dans l'ordre inverse de l'ordre

chronologique; c'était là le moindre de ses soucis: puis, se rappelant que le Commentaire A s'appelait aussi *Jardin de la Consolation, etc.*, il mentionne également ce titre pittoresque qui lui rappelait le souvenir agréable du port de Tétouân. Le و qui sépare ce titre de غريب الاخبار doit être compris dans ce sens que le Commentaire A portait ces deux titres. C'est ainsi qu'après avoir annoncé deux Commentaires, l'auteur donne trois titres.

C — Enfin il existe un troisième Commentaire, que je connais par une copie moderne appartenant à M. Delphin. Une note placée à la fin annonce que le manuscrit a été copié sur un autre, lequel avait été directement copié sur l'original, et que l'original, de la noble main de Bou-Ras, ne portait pas de date, suivant l'habitude invariable de l'auteur.

Je n'ai donc eu qu'un texte de troisième main. Le titre est :

عجائب الاخبار ولطائف الاسفار
فيما جرى بوجران والانداس المسلمين مع الكفار

Récits extraordinaires et voyages agréables, au sujet de ce qui est arrivé aux Musulmans de la part des Infidèles, à Oran et en Espagne.

C'est un composé des titres de A et B, et, en effet, cet ouvrage est un composé des deux premiers.

La Cacida comprend 181 vers; sur ce nombre :
19 se retrouvent identiques dans A et dans B.

9	—	—	A et modifiés dans B.
24	—	—	B et modifiés dans A.

20 se retrouvent identiques dans A et n'existent pas dans B
 28 — — B et n'existent pas dans A
 13 — modifiés dans A et dans B.
 35 — — A et n'existent pas dans B
 25 — — B et n'existent pas dans A
 8 sont entièrement nouveaux.

Tous les vers de la *Cacida A*, où l'auteur se mettait personnellement en scène, ont été supprimés. Ceux de la *Cacida B* ont été allégés d'un bon nombre de noms propres. Ainsi un des vers cités page vi est devenu :

لوشة بلشة وزد لها بسطمة

وشترين اشترى منا بالبخص

Yahoib a été jeté par dessus bord. Certaines mutilations ont été adoucies ; ainsi *انفلتيرة* *تير* abréviation de *انفلتيرة* l'*Angleterre*, est devenu *فلتيرة*. Le premier hémistiche du 41^e vers de la *Cacida A*, cité page iv, a été ainsi modifié :

وبعد الب ومائة في نطيب

Dans la douzième année qui suivit l'an 1100, ce qui est à la fois plus clair et plus exact. La comparaison des vers ainsi modifiés pour être rendus plus corrects ou plus élégants ne manque pas d'intérêt.

Le *Commentaire* est aussi emprunté aux deux premiers, surtout au second, mais il est beaucoup plus condensé. La plus grande partie des citations sur l'histoire d'Espagne est supprimée. En même temps l'auteur ajoute un peu de nouveau. Des pages entières sont copiées dans les *Commentaires* précédents. Ce n'est

donc pas une œuvre nouvelle, mais ce n'est pas non plus une simple copie des deux premiers ouvrages.

Il est curieux de voir ce qu'est devenue la phrase du Commentaire B, citée plus haut, page ix et relative à l'ouvrage recopié dans le port de Tétouân. On retrouve en effet cette phrase, mais ainsi transformée :

وفد كنت كلفت بشرحها ثم ثنيت عنان القلم
ثانيا لشرح الفصيدة الاولى

Une première fois j'avais entrepris de commenter ce poème..... je tournai ensuite la bride de ma plume pour commenter une seconde fois la première Cacida.

C'est incompréhensible. Il me semble qu'on prend là l'auteur sur le fait. Étant occupé à recopier, en l'abrégeant, cette partie de son Commentaire B, il s'est engagé sans réflexion dans cette phrase, sans remarquer qu'elle ne pouvait plus s'appliquer au cas présent. Elle allait le conduire à donner une seconde fois son titre, qu'il venait précisément de donner quelques lignes plus haut. Alors il a tourné court, sans s'inquiéter de nous laisser au milieu d'une phrase devenue un rébus.

Cet ouvrage n'est pas mentionné dans l'autobiographie, soit qu'il ait été composé après celle-ci, soit que l'auteur, l'ayant considéré comme une simple fusion des deux premiers, n'ait pas jugé à propos de le citer comme une œuvre distincte.

Certains passages obscurs pourraient faire croire que ce travail de condensation n'est pas l'œuvre de Bou-Ras lui-même. On y lit des phrases telles que celle-ci : « Dans certains manuscrits, on lit *tel autre mot* ». On

s'explique difficilement cette phrase dans la bouche de l'auteur ; cependant ce n'est pas tout à fait impossible. Il se peut aussi que ce soit une remarque d'un copiste qui aura été maladroitement incorporée dans le texte : semblables méfaits ne sont que trop fréquents. Dans tous les cas, l'assertion qui termine le manuscrit et que j'ai rapportée plus haut, prouve péremptoirement que l'œuvre est bien de Bou-Ras, et a été écrite primitivement de sa *noble* main.

Les vers qui se retrouvent dans les Cacida A ou B sont marqués, suivant le cas, d'une de ces deux lettres ou de toutes les deux, majuscule quand le vers se retrouve identique, minuscule s'il est modifié. J'ai cru bon d'intercaler 19 vers des Cacida A ou B qui ont disparu de C, mais ils sont écrits en caractères italiques et sans numéro d'ordre. On connaîtra ainsi la totalité de ce que la Muse a inspiré à Bou-Ras sur la prise d'Oran, soit 200 vers rimés en *س*, sur le mètre « basith. »

Après les vers 71, 72 et 73, qui sont communs aux Cacida B et C, j'ai cru devoir donner *in extenso* leurs analogues de la Cacida A, parce qu'avec des mots presque identiques, ils offrent un sens général très différent. En principe, pour tous les vers qui se trouvent dans la Cacida A, j'ai adopté le sens proposé par M. Arnaud, sauf quand l'auteur lui-même en a donné un sens différent dans un de ses Commentaires B ou C. On en verra un exemple curieux dans le vers 73.

G^{de} FAURE-BIGUET.

LES VÊTEMENTS DE SOIE FINE

au sujet d'Oran et de la Péninsule espagnole

1. — Soufflez, ô vents favorables, sur
A¹ toute la terre de Dieu ; annoncez aux êtres
b¹ muets en même temps qu'aux génies et
aux hommes,

2. — Aux extrémités de l'Orient et de
a² notre Occident, au nord, au midi, aux
b² arbres et aux plantes,

3. — Aux flots gonflés des mers et aux
A³ habitants de leurs îles, la bonne nouvelle
B³ de la prise d'Oran, séjour du polythéisme
et de la prostitution.

4. — Racontez-leur les malheurs passés.
A⁴ Pendant longtemps Oran a plongé l'Islam
b⁴ dans la perdition.

A⁵
b⁵ 5. — Dieu nous a permis de revenir à la charge contre elle ; nous avons recouvré une dette qui était tombée dans l'oubli.

a⁶
b⁶ 6. — Grâce à un héros qui s'est préparé à la guerre en relevant l'izar du vêtement de la victoire dont l'intrépidité formait le rida.

a⁷
b⁷ 7. — Il ne s'est pas inquiété des conséquences ; il n'a consulté que le sabre et la lance aigüe.

B⁸ 8. — C'est le bey Mohammed Lar⁽¹⁾, le plus vaillant parmi ceux qui s'élèvent par dessus les planètes et le sommet d'Orion.

A⁸
B⁹ 9. — Lors même que l'espoir ne lui sourit pas, il n'abandonne pas son projet, il en vient à bout à l'aide du sabre et du cheval.

a⁹
B¹⁰ 10. — Le chef de ces escadrons les a conduits à la guerre sainte, désireux de se trouver face à face avec ceux qui adorent trois dieux et qui prient au son des cloches.

A¹¹
B¹¹ 11. — Armée immense à laquelle rien ne résiste, pour laquelle les plaines de Atlât et de Mafès seraient trop étroites⁽²⁾.

(1) Lar, titre des généraux Tures.

(2) Atlât en Arabie ; c'est là que furent tués les frères de Beïhas mentionné au vers 130. — Mafès ou Memis, lieu où se livra la bataille entre Zohair ben Queis et Cocyte, non loin de Cairouân. 688.

A¹⁰ 12. — Il a installé ses soldats dans les
B¹² faubourgs d'Oran, leur nombre dépasse
l'imagination.

B¹³ 13. — Ils sont tous affamés du désir de
combattre ; aucun d'eux ne connaît la peur
et ne reste en arrière.

B¹⁴ 14. — L'aigle ne se mesure pas à la
taille de l'outarde qui lui sert de proie,
pas plus que le géant à celle d'un chétif
avorton.

a¹² 15. — Que la victoire lui soit aisée ! Il a
B¹⁵ rempli les environs d'Oran de ses cour-
siers rapides qui en parcourent les monta-
gnes et les plaines.

A¹³ 16. — Il s'y est installé en vainqueur par
B¹⁶ l'ordre de Dieu, comme un glaive tran-
chant et menaçant, ou comme une pluie
abondante et bienfaisante.

a¹⁴ 17. — Les Mog'râoua ont bâti Oran par
B¹⁷ ordre de leurs maîtres, les émirs Omeya-
des d'Espagne.

A¹⁵ 18. — Khazer le Mog'râoui en jeta les
b¹⁸ fondements dans le troisième siècle⁽¹⁾,
alors que leur trône était dans toute sa
puissance.

A¹⁶ 19. — Dans la sixième année du qua-
b¹⁹ trième siècle, les Azdâdja unis aux 'Adjlça
les chassèrent de cette forteresse.

(1) En 290 de l'hégire (903). Comm. A.

a17 20. — Puis Yoûçouf et 'Ali⁽¹⁾ chassèrent
B20 ceux-ci, comme ils les avaient déjà expulsés du territoire de Fès.

A18 21. — Les Almohades vinrent ensuite ;
b21 ils grandirent et conquièrent Oran au milieu du sixième siècle.

b21 22. — C'était une de leurs meilleures
forteresses ; elle se révolta contre Abou-
Debbouïs⁽²⁾ le dernier d'entre eux.

a19 23. — Ensuite vint la famille des Zeyâ-
b22 nites qui eût une longue suite de souverains ; leur pouvoir s'étendit jusqu'à Dellys.

a20 24. — A leur époque vivait celui qui fût
le pôle, le savant d'Oran, Mahammed⁽³⁾,
cet homme si grand qu'il n'avait pas de rival.

a21 25. — Après sa mort, Mahammed fut
remplacé par son disciple Ibrahim⁽⁴⁾ qui
s'éleva aussi haut que Jupiter.

(1) Yoûçouf ben Tachfin et son fils 'Ali.

(2) Abou'l Ola Edris el-Onatîq surnommé Abou-Debbouïs, dernier Almohade 1266-1269.

(3) Mahammed ben Omar le Mog'raoui surnommé el Haouâri, savant, poète et thaumaturge d'Oran où il est enterré ; mort en 843 (1439) ; cité par Ahmed-baba. Comm. B et C.

(4) Abou-Sâlem ou Abou-Ishaq Ibrahim ben 'Ali de Tâza, élève du précédent, également poète et thaumaturge, mort en 1462. Cité par Ahmed-baba. Comm. B et C.

a21 26. — Quand il fit le pèlerinage, il vit venir à lui les habitants de l'Orient, même le plus reculé, comme ceux de Tous et de Coûmes⁽¹⁾.

27. — Avec une science admirable, il amena à Oran de l'eau qui fut un bienfait pour cette ville.

a22 28. — Pendant le huitième siècle, elle fut gouvernée par le Mérinide Abou'l b23 Hacén⁽²⁾; c'est alors que s'accomplit la soumission de Tripoli.

A23 29. — Il construisit le Bordj el-Ahmer b23 qui s'élève au-dessus de toutes les autres constructions, puis le second fort pour défendre les navires du port.

A24 30. — Dans la quinzième année du dixième siècle, les Espagnols, gens du B24 polythéisme et de la turpitude foudrirent sur elle.

A25 31. — Les hordes des infidèles ont fortifié ses flancs ; Abou-Calmoûs⁽³⁾ n'a pu les repousser. B25

(1) Tous et Coûmes dans le Khoracân.

(2) Celui qui perdit la bataille du Rio-Salado.

(3) Abou-Calmoûs, dernier sultan Zeyanite de Tlemcen ; cette ville lui fut enlevée par les Turcs ; il en vint à appeler le secours des Chrétiens contre les Turcs ; « cette inspiration du démon ne lui servit à rien. » Comm. C. — Il s'agit donc de Zeyân (1543 à 1550) qui se réfugia en effet à Oran après sa chute ; mais il avait commencé par être l'allié des Turcs contre les Espagnols. C'est ce qui explique le vers.

a26 32. — Le Duc⁽¹⁾ a ravagé ses deux plai-
b26 nes, lançant ses troupes sur les croyants,
sans s'inquiéter de nos héros.

a27 33. — Quand il répandit⁽²⁾ ses troupes
B27 autour de la ville, les environs tremblè-
rent. L'élévation de ses monuments s'est
changée en un triste abaissement.

b28 34. — Leurs pourceaux et leurs croix
remplirent la ville qui auparavant était le
séjour de la foi.

B29 35. — Combien de fois n'y avait-on pas
lu des versets bien authentiques ! Après
avoir été pure, Oran est devenue immonde.

A28 36. — On eût dit qu'elle n'avait jamais
B30 possédé de ces astres brillants que le
public a oubliés depuis, ni de gens distin-
gués et intelligents.

B31 *C'est semblable à ce que fit Théophile⁽³⁾ à
l'égard de Malatia. Il en fut puni par l'abais-
sement, la honte et l'avilissement.*

(1) D'après l'examen du Commentaire, je ne crois pas que ce titre, qui reparait plus loin, s'applique à un général Espagnol en particulier. C'était le Capitaine Général. Le Comm. C dit qu'on l'appelait aussi Marquis.

(2) Je ne crois pas que **احاط** doive se traduire ici par assiéger. L'ensemble du texte montre qu'il ne s'agit pas du siège d'Oran par les Espagnols, mais de l'époque qui suivit leur entrée dans la ville.

(3) D'après la date donnée dans le Comm. B, on voit qu'il s'agit ici de l'Empereur Théophile (829-842). Bou-Ras écrit Nofil, probablement par suite de l'oubli d'un point diacritique dans l'auteur qu'il a copié. — Malatia autrefois Mélitène sur le Karasou affluent de l'Euphrate.

37. — Ce Duc a eu le champ libre ; ses
a29 mains se sont étendues pour saisir ce que
B32 ses pieds n'auraient même pas osé atteindre.

38. — Après nous, il remplit la ville de
B33 la lie de Malaga, d'être aussi vils que
l'âne et le bouc.

39. — Ses successeurs ont eu la même
a30 conduite ; tous ont imité les rois d'Aragon
B34 et de France,

40. Quand ils prirent la Sardaigne,
B35 Dénia, Palerme, Mazzara (dans) l'île de
Galien⁽¹⁾.

41. — La Catalogne⁽²⁾, Carthagène, puis
a31 Valence, Almeria où régna Motacim⁽³⁾ et
b36 Badajoz,

(1) Le premier hémistichie s'applique aux victoires de D. Jayme le conquistador. Dans le Comm. B, Sardenia et Denia signifiaient les deux grandes Baléares conquises par D. Jayme. Dans le Comm. C, Bou-Ras revient à des notions plus exactes : Sardenia est la Sardaigne, et Denia désigne Mayorque ; c'est cette dernière seule dont il attribue la prise au roi d'Aragon. Le 2^e hémistichie s'applique à la Sicile : le premier mot désigne Palerme ; les commentaires ne laissent aucun doute à cet égard ; mais il est toujours écrit يلدِم ; ce ne peut être que le résultat d'une erreur de point diacritique, et de la détestable manière Africaine d'écrire le >. J'ai rétabli l'orthographe arabe usuelle. — « Un jour, raconte Galien, ma rate s'était enflée, et je ne pouvais arriver à la guérir, quand je vis en songe un ange qui m'ordonna de m'ouvrir la veine située entre l'annulaire et le petit doigt. » Comm. B.

(2) قِطْلَان pour قِطْلَان Catalogne, Comm. B.

(3) Mohammed ben Man el Motacim, roi d'Almeria,

b37 42. — Loja, Velez ainsi que Baza et Santarem, nous ont été achetés à vil prix.

B38 *Ibiça s'est desséchée ; sa douceur s'est changée en rudesse ; les infidèles en ont fait disparaître toute l'aménité.*

43. — Nous avons quitté Ibiça ainsi que Mayorque ; plutôt à Dieu que Yahia⁽¹⁾ fut venu de Gabès dans ces deux villes.

B40 *Pechina et Guadalajara ne pourraient plus recevoir la R'assâniya⁽²⁾ qui était aussi savante que Ibn As.*

a32 44. — Don Ramire le mauvais s'empara
b41 de Tarifa⁽³⁾ dont ni el-Aftas ni son fils ne furent longtemps les maîtres.

b42 45. — Malheur sur Séville la belle et sur Cordoue ! Leurs antiques qualités ont disparu.

mort en 1091, quelques jours avant la prise de cette ville par les Almoavides.

(1) Yahia ben R'aniya venu en 1185 avec son frère 'Ali de Mayorque en Afrique où il joua un rôle important jusque vers 1227.

(2) Hafça bent Hamdoûn, surnommée la R'assâniya, poétesse née à Pechina, tirant son nom de la tribu Yemenite de R'assân. — Ibn As, savant espagnol. Comm. B.

(3) Tarifa fut prise par Sancho IV roi de Castille en 1292. Ce vers diffère très peu du vers 32 de la cécida A. Dans la cécida B, il avait été ainsi modifié : « Tarifa et Ruta d'Ibn Hout ont été enlevés par les infidèles, de même qu'ils ont enlevé Badajoz aux Beni Aftas ». Cela était plus exact, puisque Tarifa n'a jamais appartenu aux Beni Aftas. On ne s'explique pas pourquoi Bou-Ras est revenu à son premier vers.

Câcem⁽¹⁾ n'a-t-il donc pas chanté la *Rocafa*
B⁴³ de Cordoue, augmentant ainsi dans les âmes
 le regret de la splendeur passée.

b⁴⁴ 46. — Baeza, Comares, Ubeda, Tortose,
 Lisbonne, Fraga, Carmona et Cadiz,

B⁴⁵ *Sidonia*, « *Medrou* », « *Bachania* », *Por-*
cuna, « *Crites*⁽²⁾ » cette fleur de la religion
 sont aujourd'hui bien loin de nous.

b⁴⁶ 47. — Algeziras, l'Alhambra, Cora et
 Ocbana, Gibraltar qui est aujourd'hui aux
 mains des Anglais,

b⁴⁷ 48. — Guadix et le Guadalquivir⁽³⁾ ont
 été affligés par la mort et la captivité,
 ainsi que Chaster et Anvers⁽⁴⁾.

B⁴⁸ Combien vous avez malagi, ô « *Tekhares* »
 et « *Batarzadj* » ainsi que le cercle d' « *Ach-*
kounia » et « *Bedjanes*⁽⁵⁾ ».

(1) Câcem ben Abboûd er-Riâhi, poète Cordouan qui composa des vers sur les ruines de la Rocfa. Comm. B.

(2) Ce nom est écrit *فريطشي* dans le Neth et-Tib de Maccari. Comm. B. Il désigne une ville d'Espagne et non l'île de Crète, comme on pourrait le supposer.

(3) *لوي* ou *لر* désigne habituellement le Lekk ou Guadalete. Ici il désigne le fleuve de Séville, c'est-à-dire le Guadalquivir. Comm. B. Bou-Ras n'est pas responsable de cette confusion qui avait été faite avant lui par Râzzâli, comme on peut le voir dans le Comm. A.

(4) Anvers, capitale des Flamands. Bou-Ras reconnaît qu'elle n'a jamais appartenu aux musulmans ; mais il a entendu dire qu'ils y percevaient jadis quelques tributs. « Dieu est le plus savant. » Comm. C.

(5) Batarzadj était dans la province de Campo de Catalrava. Achkounia était entre Silves et Lisbonne ; Bedjâ-

49. — Ibn Mâlik a quitté son Jaen ; 'Ali
B⁴⁹ en a fait de même, ainsi que le grammairien de Séville⁽¹⁾.

50. — O douleur ! Où est ce royaume des
b⁵¹ Beni A'bbâd qui croyaient ne jamais disparaître ?

*Où est la postérité de Zeïdoûn et celle de
B⁵² Macis qui appartenait aux Beni 'Abbâd ? Où
est la postérité d'Ammar qui était l'égal
d'Abou-Nowâs⁽²⁾.*

51. — Nous avons cependant vaincu à
b⁵⁰ Arcos, à Zelâca et dans bien d'autres
endroits ; mais nous tombâmes ensuite
dans l'avilissement.

52. — Depuis que Yoûçouf et Ya'coub⁽³⁾
ont disparu, les hordes des Galiciens et des
autres nations se sont enhardies contre
nous.

nos dans le gouvernement de Guadix. Ces villes ont mal
agi parce qu'elles ont été tièdes dans la guerre sainte.
Comm. B.

(1) Mohammed ben 'Abdallah ben Mâlik, auteur de
l'Alfiya. — Abou'l Hacen 'Ali ben Moumen ben Moham-
med Asfour de Séville, grammairien, élève de Chaloubin.
Comm. C.

(2) Abou Bekr ben Zeïdoûn, Ibn 'Ammar el-Mahri el-
Andalouci et Hacen el-Macis, poètes de la cour de Mota-
mid, dernier roi de Séville. Comm. B.

(3) On pourrait dire les deux Ya'coub, car ce vers pour-
rait s'appliquer à l'Almohade Ya'coub el-Mançour et au
Merinide Ya'coub ben 'Abd el-Haqq. Comm. C. Dans la
cacida B, ce mot est au duel. *اليعنوبان*

B⁵⁴ « Remima » et « Bertania », puis Anija, Yahçib (Alcalá la real) et Barbastro qui a été aux mains des troupes de Guillaume⁽¹⁾.

B⁵⁵ 53. — Le bras du Galicien qui autrefois était emprisonné, s'est étendu frauduleusement jusqu'à Trujillo et Djalmania.

b⁵⁶ 54. — Hélas ! Qui me donnera une de ces campagnes qui dissipent le chagrin, comme celles de En-Nasri, de En-Nâcer ou du Merinide⁽²⁾.

B⁵⁷ Saladin a débarrassé la religion des obstacles qui la gênaient ; Noureddin a été un objet de terreur suspendu au cou des Francs.

b⁵⁸ 55. — Nos souverains ne se sont plus occupés que de dépêcher leurs affaires : ils nous ont dévoré comme l'animal à l'écurie dévore le grain.

B⁵⁹ 56. — Ils se sont tous détournés de la guerre sainte contre l'infidèle ; c'est au

(1) Remima, village du gouvernement de Grenade. — On peut voir dans les recherches de Dozy que اردمليسى est une corruption de الاردمانيين les Normands ; mais ce nom a fini par être pris pour celui de Guillaume de Montreuil, chef de la sanguinaire expédition de Barbastro. C'est dans ce sens que l'emploie Bou-Ras.

(2) Ismaïl ben Faradj, roi Nasrite de Grenade 1314 à 1315. — 'Abd er-Rahmân III en-Nâcer Khalife Omejade 942 à 961. — Quant au Merinide, c'est Yacoûb ben 'Abd el-Haqq, 1259-1288. Comm. G.

point que notre grande Egypte a été précipitée dans l'adversité⁽¹⁾.

57. — Plût à Dieu que nous eussions une armée comme celle de l'Abédite⁽²⁾ ! Innombrable ! Mieux vaudrait compter un tas de lentilles !

B⁶⁰ *Où est la foi qui délivra de l'impiété notre Ouafdj⁽³⁾ar, Orihuela, Arjona et Beja d'Espagne ?*

B⁶¹ 58. — La Péninsule Espagnole vivait dans la foi ; mais, avec la rapidité de l'éclair, elle est retournée à la plus horrible turpitude.

B⁶² 59. — Le vent de la victoire n'a plus soufflé dans ses plaines quand la discorde a régné entre ses princes.

a³³
B⁶³ 60. — Pendant des années ils ont été en rivalité. C'est pour cela que les rois Chrétiens d'Espagne se sont enhardis.

B⁶⁴ 61. — La mort du fils d'Abou-Zeid⁽⁴⁾, de son émule et du héros de la famille d'Amir⁽⁵⁾ les ont rendus audacieux comme des putois.

(1) Allusion à la campagne de Bonaparte en Egypte. Comm. B.

(2) L'Almohade 'Abd el-Moumen qui était originaire des Beni 'Abed, fraction des Kioûma, tribu des Trâra.

(3) Ouafdj⁽³⁾ar, ville de la province de Grenade. Comm. B.

(4) L'Omeiyade Mohammed I, fils de Abou-Zeid 'Abd er-Rahmân II, fils de Hakaam I. Ce fut lui qui gagna la bataille du Guadacelete.

(5) Le célèbre el-Mançour ben Abi 'Amir.

62. — Oh ! Combien ont souffert dans ce
A³⁷ pays les signes de la foi ! Ce temps a été
b⁶⁵ comme le sommeil troublé par un cauche-
mar.

63. — Ils nous ont pris Ronda et Malte⁽¹⁾,
b⁶⁶ ces idolâtres chétifs, méchants et mépri-
sables.

64. — Zâhira, Zahra, Merida⁽²⁾, Sara-
B⁶⁷ gosse, *Castalla* (ou Castille⁽³⁾), Calatrava
ont perdu toute valeur.

65. — Alfonso a anéanti Todmir ; quant
b⁶⁸ à Murcie elle a éprouvé de la part des
Français⁽⁴⁾ tout ce qu'on peut attendre de
gens dignes de réprobation.

Sidonia a causé à la foi un violent saisis-
B⁶⁹ *sement ; « Calalès », Uclòs, Huesca et Elvira*
sont dans l'ordure.

66. — Tolède fut la première de leurs
B⁷⁰ conquêtes. De el-Haouâri elle est revenue
à Alfonso⁽⁵⁾.

(1) Cet hémistiche est incomplet ; il faudrait probable-
ment lire : Ils nous ont pris Ronda Niebla et Malte. Voir
la note du texte.

(2) Merida dans le vers et Lerida dans le Commentaire.
Bou-Ras confondait ces deux villes. Comm. G.

(3) Bou-Ras croyait comme beaucoup d'auteurs Arabes,
que la Castille avait pour capitale une ville portant le
même nom.

(4) Littéralement, les Parisiens. Allusion aux guerres des
Français sous Napoléon. Comm. G.

(5) Yahia ben Di'n Noûn surnommé Nâcer ed-Doula,
à qui Tolède fut enlevé par Alphonse VI en 1085.

67. — La dernière fut Grenade ; des
b71,73 malheurs et des désastres semblables à
ceux de Júcar fondirent sur elle.

68. — Le roi Chrétien y jeta un regard
B72 dédaigneux sur les Nasrites jadis si puis-
sants et sur Mouaq⁽¹⁾ l'honneur de la ville.

*Pélage nous a accablés de calamités aux-
B74 quelles aucune autre ne peut être comparée ;
Narbonne, Pampelune, le château de Pélage
sont aujourd'hui muets.*

69. — De quels malheurs le pays de el-
B75 'Ocab n'a-t-il pas été cause pour nous ! Il
a ruiné les affaires de l'Espagne⁽²⁾.

70. — Tarifa leur a apporté un beau
B76 présent qui est pour nous une source
d'humiliations et qui nous fait désespérer
de reprendre la Péninsule.

71. — N'avons-nous pas été les maîtres
a34 à Soheil⁽³⁾ et à la Sahla, grâce à l'arrivée
B77 d'une beauté aux lèvres purpurines.

*Oran n'a-t-il pas été à nous avec ses eaux
A34 limpides, alors que les lèvres purpurines y
excitaient l'admiration ?*

(1) Mohammed ben Ahmed el-Abdari, surnommé el-Mouaq, savant de Grenade.

(2) La bataille de las Navas de Tolosa.

(3) Comme on le voit, les vers 71, 72, 73 se retrouvent avec de curieuses variantes dans la cecida A. Dans celle-ci, ils s'appliquaient à Oran ; l'Oued Ibn el-Kheir est le ruisseau d'Oran. Comm. A. Dans les cecida B et C, le poète conserve la plupart des mots de ces vers, mais les

a35
B78 72. — N'avons-nous pas, grâce à Salma,
régné pendant longtemps, sans conteste,
sur Jativa ?

A35 *N'avons-nous point reçu les faveurs de
Salma, l'objet de notre amour, sur les bords
du chemin de Kadima.*

a36
B79 73. — N'avons-nous pas, sur les bords
de l'Oued Jerez, versé le contenu des jar-
res dont on enterre le pied pour les
conserver ?

A36 *N'avons-nous pas, sur les bords de l'Oued
ben el-Kheir, versé le contenu des jarres
qu'on enterre par le pied pour les conserver ?*

b80 74. — N'a-t-elle donc élevé la voix que
dans l'assemblée des Fechtala⁽¹⁾ comme si
les yeux de cette beauté (l'Espagne) étaient
alanguis par le sommeil.

b88 75. — Une montagne s'est élevée entre
nous et notre Péninsule ; les portes de la

applique à l'Espagne. Je crois qu'on doit les entendre ainsi : le poète entre dans la série banale des comparaisons avec le vin et les beautés de la femme, images symboliques de l'amour de Dieu et du Prophète. Il admirait vivement ce genre de comparaisons. Dès lors, l'arrivée d'une beauté aux lèvres purpurines, signifierait l'introduction de l'islamisme ; les réunions de buveurs de Carcassonne représenteraient les réunions de pieux docteurs de la foi.

Soheila, village de la province de Malaga, patrie d'Abou'l Câcem 'Abd er-Rahman ben el-Khatib es-Soheili, Comm. B et C. — La Sahla, province d'Albarracin.

(1) Les Fechtâla, tribu Çanhadjite.

guerre sainte ont été fermées à jamais pour nous.

b81 76. — N'a-t-on pas compté dans nos villes de Belesique et d'Andarax des hommes éminents dans l'enseignement du culte du Dieu unique ?

B82 *N'avons-nous pas, à Carcassonne, tenu des assemblées où nos jeunes serviteurs faisaient circuler les coupes ?*

B83 *'Omar⁽¹⁾ n'a-t-il pas enseigné à Salobreña, où la science de la grammaire a été complètement effacée ?*

B84 *Les Infidèles nous ont enlevé Castille, Silves et Zamora la prostituée.*

b86 77. — L'Espagne n'a-t-elle pas été enveloppée dans notre puissance ? Avons-nous craint l'Angleterre et les Flamands ? (Litt. Anvers).

B87 *Demandez à Purchena ce qu'il est advenu de « Barcos ». Voilà les héros de Fiñana qui sont tombés dans l'abaissement.*

B88 78. — Maintenant voici qu'ils occupent sur nos rivages Ceuta, Melilla, Nakour et Bâdis⁽¹⁾.

(1) A'hou 'Ali 'Omar, surnommé Chaloubia, le grand grammairien de Salobreña.

(1) Bâdis, Peñon de la Gomera (des R'omara).

B⁸⁹ 79. — A l'exception de ces quatre places, toutes les autres conquêtes qu'ils avaient faites sur nous, telles que Agadir et les ports qui l'entourent,

b⁹⁰ 80. — furent reprises en totalité par Mohammed et par son fils⁽¹⁾ qui purifièrent le Sous de ces infidèles.

B⁹¹ 81. — Dom Sebastien a été humilié à l'Oued Mekhâzi; Abou Merouân⁽²⁾ lui a fait goûter le trépas.

B⁹² 82. — Arich et Tanger, Mehdia et Bridja ont été arrachées aux Portugais

B⁹³ 83. — par les armes d'Ismâïl⁽³⁾, puis par celles de son petit-fils; mais la lumière du soleil s'est éclipsée à Ceuta.

B⁹⁴ 84. — Dieu a mis Alger au pouvoir des Turcs afin qu'ils combattent Oran, séjour du polythéisme et de la trahison.

B⁹⁵ *Le pacha, fils de Kheir ed-Din l'a attaquée le premier; il a mis en perdition le fort qui défend son port⁽⁴⁾.*

(1) Abou 'Abdallah Mohammed el-Gâta bi Amr Illah et son fils Abou'l 'Abbâs Ahmed el-'Arâdj, premiers cherifs Saadiens 1512 à 1543.

(2) Abou Merouân 'Abd el-Malik ben Mohammed, sultan Saadien 1776 à 1778.

(3) Mouley Abou Nâcer Ismaïl ben Mouley Cherif, sultan Haçanide 1672 à 1727.

(4) Exagération poétique, puisque Hacén ben Kheir ed-Din échoua devant Mers-el-Kebir en 1563. Cependant il s'empara du fortin San-Miguel, qui dominait le fort principal.

B⁹⁶ 85. — Le pacha Ibrahim⁽¹⁾ vint l'attaquer au milieu du onzième siècle.

b⁹⁷ 86. — Il s'installa quelque temps sur l'Almeida en inquiétant la ville, puis il revint sur ses pas à cause de la difficulté de l'entreprise.

a⁹⁸
b⁹⁸ 87. — A la fin du même siècle, Chabân le Zenagui l'assiégea⁽²⁾, mais elle résista, Dieu sait avec quelle énergie.

a⁹⁹
B⁹⁹ 88. — L'armée nombreuse des musulmans foula cette terre et fit couler les larmes des habitants sans aucune exception.

A¹⁰⁰
B¹⁰⁰ 89. — Des combats terribles se livrèrent entre eux et se terminèrent par la mort de ce martyr.

a¹⁰¹
B¹⁰¹ 90. — Dans la douzième année qui suivit l'an 1100 (1700-1), Ismaïl⁽³⁾ réunit contre Oran les contingents des parties les plus reculées du Sous.

(1) Ce fut le premier, dit Bou-Ras, qui amena de l'artillerie sur l'Almeida. Il y eut à Alger un pacha, Ibrahim, entre 1655 et 1658, ce qui correspond à peu près au milieu du XI^e siècle de l'hégire. Je n'ai trouvé nulle part trace de son expédition contre Oran, qui est cependant mentionnée dans les trois commentaires.

(2) Chabân, bey de Mazoûna, tué devant Oran en 1686.

(3) Mouley Ismaïl déjà nommé, (vers 83). Bou-Ras fait ici confusion de dates. L'expédition de 1700-1, dans la province d'Oran, eut lieu contre les Turcs. Celle contre les Espagnols avait eu lieu en 1693.

91. — Les habitants de Temesna, ceux
B¹⁰² des bords de la Moulouya, d'Oudjda, les
Ma'quel et les Beni Yznacen.

92. — Il installa son matériel autour de
A⁴² la ville pour en pousser vigoureusement le
B¹⁰³ siège ; mais il ne put trouver le moyen de
la réduire.

93. — Il s'installa quelque temps sur
A⁴³ Heïdour en employant toutes sortes de
B¹⁰⁴ stratagèmes ; il appela à son aide tout ce
qui se trouvait à l'entour sur le territoire
des Makhis⁽¹⁾.

94. — Mais l'astuce des défenseurs et la
a⁴⁴ force de la place lassèrent sa valeur ; tel
B¹⁰⁵ l'aigle des airs qui se défend par son élé-
vation.

95. — Il dit alors : C'est une vipère
a⁴⁵ cachée sous un rocher ; elle peut nuire et
B¹⁰⁶ personne ne peut lui faire de mal.

96. — Les Chrétiens l'entourèrent de
gardes attentifs ; ils entendaient le moindre
bruit de quiconque s'approchait, comme
si c'eût été un bruit violent.

97. — Quand Dieu eût résolu de rame-
a⁴⁶ ner la foi à Oran, il suscita à Alger la
B¹⁰⁷ lumière qui devait chasser les ténèbres,

(1) C'est-à-dire sur le territoire à l'ouest d'Oran qui avait
été occupé autrefois par la tribu Hilalienne des Makhis.
Comm. A.

98. — Mohammed Bakdach, le plus brillant des pachas de cette ville, qui s'est élevé au-dessus de ses pareils par son intelligence et sa bravoure.

99. — Il équipa une flotte montée par les Turcs qui débarquèrent à l'est d'Oran sur son territoire desséché⁽¹⁾.

100. — Il nous amena par ce chemin des canons et des mortiers, remplissant ainsi les infidèles d'inquiétude.

101. — Ozen Hacén n'a pas cessé d'attaquer la ville, de même que le vigoureux et intrépide Mostafa à la forte moustache⁽²⁾.

102. — La ville fut prise de vive force en l'an 19 (1708), après un séjour des infidèles de 205 ans, pendant lesquels la religion fut abaissée.

103. — Après que la trahison et le malheur se fussent succédé, la Soumma que notre Seigneur avait imposée à la tribu de Djâdis fut rétablie.

104. — Oran devint pour les hommes comme un pâturage sûr, alors qu'auparavant toutes les joies de la vie en avaient disparu.

(1) A. Arzew.

(2) Bou-Ras substituée à Bou-Chlârfem, surnom habituel de ce Bey, son synonyme **فاينى** pour la mesure du vers.

105. — Après avoir trébuché jadis, les
a52
B113 pieds de l'islamisme se fixèrent à cette
ville comme à un but assigné vers lequel
il s'était élancé comme un cheval dans la
carrière.

106. — C'est là l'ordre de Dieu ; c'est
A53
b116 ainsi qu'il en avait décidé ; s'il avait voulu,
ils ne l'auraient pas possédée un dixième
de seconde.

107. — Après dix années, puis dix autres
A54
B117 et puis quatre, ils revinrent à cette ville
qui est la consolation des malheureux.

108. — Ils s'en emparèrent après de fai-
A55
B118 bles combats ; la première fois ils l'avaient
eue par une trahison insigne.

109. — La seconde fois, ils l'ont achetée
a56
b119 pour bien peu de chose. Comment une
ville comme Oran peut-elle se vendre à
vil prix ?

110. — Deux fois ils y sont venus et l'ont
b120 trouvée bien pourvue ; la promesse qui
leur en a été faite n'a pas été longue à se
réaliser.

111. — Ils ont été libres d'y vivre et d'y
A57
B121 agir à l'aise ; elle était parée pour les
Chrétiens comme une mariée pour son
époux.

112. — Quel triste sort pour cette place
a58 livrée en pâture à l'infortune ; sa puissance
s'est misérablement écroulée.

113. — Cette ville était le séjour de la science et de la foi ; le vol et le pillage se sont abattus sur elle comme ils avaient fait pour Calatrava⁽¹⁾.

a59
B123 114. — Les réunions funèbres de toutes nos femmes resplendissantes par leur beauté et leur parure devinrent pour l'ennemi comme des fêtes nuptiales.

a60
B122 115. — Les Chrétiens se sont partagé (puissent-ils ne pas les garder longtemps !⁽²⁾) les perles précieuses de nos trésors préservés avec soin de tous les regards (nos femmes).

a61 116. — Il y avait des jardins sur lesquels l'œil aimait à se reposer ; l'ancienne splendeur de leurs arbres contraste avec leur désolation actuelle.

a62 117. — Un chef Chrétien désigné par les décrets de Dieu en détruisit les splendeurs ; il passa bien des nuits dans l'insomnie en multipliant ses recherches.

118. — Depuis qu'il lui a fait la guerre, il s'est constamment occupé de la détruire ; il ne s'est pas laissé amollir par la paresse ou le sommeil.

(1) حصن ربيع en Espagne. Comm. C. Il est probable qu'il s'agit de Calatrava appelé ordinairement قلعة ربيع

(2) Au moment où Bou-Ras écrivait, les Chrétiens ne possédaient plus Oran ; on ne s'explique donc pas pourquoi il forme ce souhait. Mais le Comm. C ne laisse aucun doute sur le sens.

B¹²⁴ 119. — Oran a passé successivement de nos mains à celles de l'ennemi. Chaque fois qu'elle nous promettait quelque chose, c'est l'inverse qui arrivait.

A⁶³
B¹²⁵ 120. — Enfin, dans sa mansuétude, Dieu nous la ramena, après un temps aussi long que l'âge d'une vieille fille⁽¹⁾.

a⁶⁴
B¹²⁶ 121. — Quand celui qui est notre appui fut en possession du Mag'reb central, le soleil brilla, succédant aux épaisses ténèbres.

a⁶⁵ 122. — C'est un prince dont les souverains imitent la conduite ; pour la religion et pour les choses de ce monde, on admire son gouvernement.

a⁶⁶
B¹²⁷ 123. — C'est un roi victorieux ; s'il lançait un trait contre une étoile, il l'atteindrait ; s'il appelait le mont Dabil, celui-ci répondrait avec empressement à l'appel⁽²⁾.

A⁶⁷ 124. — C'est un héros magnanime ; ses vêtements sont l'énergie et la victoire ; son naturel est la douceur.

a⁶⁸ 125. — Son royaume comprend celui des Beni Mendil, qui s'étendit autrefois de l'Oued Oued Djer⁽³⁾ jusqu'à Ténès.

(1) Après 63 ans, dit un des Commentaires.

(2) Vers copié presque littéralement sur un vers d'Ibn el-Abbar, cité dans le Comm. U.

(3) L'Oued Oued Djer est dans la Mitidja.

126. — Le royaume de Todjin est aussi
a69 sous son pouvoir, ainsi que l'antique Tlem-
cen aux solides fondations,

127. — siège de la splendeur du trône
a70 de la famille de Yar'morâcen, ainsi que du
royaume des fiers fils de l'Yfrinite Yala.

128. — Son autorité s'étendit au-delà du
A71 pays de Cha'nb et de Moçab⁽¹⁾, à plusieurs
journées de marche au delà d'Abou Deres.

129. — Il fit goûter l'indulgence et la
A72 paix à toutes les tribus qui virent ainsi
succéder la sécurité à la ruine.

130. — Mohammed ben Otmân, l'étoile
A73 de leur félicité, les mit à l'abri des souil-
lures et des affronts⁽²⁾.

131. — Pendant treize années de son
a74 gouvernement, il fit pleuvoir sur les habi-
tants d'Oran le malheur et la perdition.

132. — Il garnit de cavaliers, de fantas-
A75 sins et d'un cordon de postes tous les lieux
où ils pouvaient passer.

133. — Des tolba combattirent vigou-
a76 reusement et firent du mal aux Chrétiens;
on ne doit pas les mesurer à la taille de
Queïs ni de Beïhas⁽³⁾.

(1) Les Cha'nbâ et le Mzab.

(2) En 1785, le bey Mohammed avait fait une brillante
expédition jusque dans le sud de la province d'Alger.

(3) Queïs ben Zoheir et Beïhas. Ce dernier était un Arabe
célèbre par la vengeance qu'il tira du meurtre de ses frères.

134. — Ils firent revivre les traces disparues de leurs professeurs Ahmed, Mohammed et Ibn Yoûnes⁽¹⁾.

135. — En l'an 5 (1205-1791), une armée immense composée d'hommes énergiques et intrépides arriva sous ses murs avec son matériel.

136. — Le bey entourait la ville de batteries et de mortiers ; elle était au milieu d'eux comme un cercle de curieux.

137. — Peu s'en fallut que ses canons écrasassent ces montagnes ; c'était le roulement continu du tonnerre dans un nuage fulgurant.

138. — Tout ce qui est périssable finit ; mais les combats ne finissent pas pour lui ; on dirait qu'il dédaigne les vicissitudes du temps.

139. — La tête du corbeau blanchit d'effroi à la vue de ses combats ; mais le jour toujours obscurci (par la poudre) ne blanchit pas.

(1) Abou'l 'Abbas Ahmed ben Tâbet, cheikh de Tlemcen, mort en 1615. — Mohammed désignait dans le Comm. A le cheikh Mohammed ben 'Abd el-Kerîm, mort au Touât, contemporain d'Achmed baba, et par suite du sultan Ahmed ed-Dahabi (1578-1603). Dans le Comm. C, il est devenu le célèbre marabout marocain el 'Ayachi, tué en 1641. On raconte que dans la nuit qui suivit sa mort, sa tête coupée récitait encore le Coran. — Ibn Yoûnes, originaire de Sicile, commentateur de Sidi Khelil. — Ces trois personnages étaient à la fois des savants et des guerriers.

b130 140. — L'obscurité était telle que quiconque approchait voyait noircir les blancs de son visage ; ce qui avait noirci ne redevenait plus blanc.

a81 141. — La poussière des chevaux, la fumée de la poudre, rappelaient la bataille de Halima et celle où Romanus⁽¹⁾ fut vaincu à Kordj.

a82 142. — Leur général était tremblant d'effroi devant les ravages du bey ; son cœur était rempli de crainte et de colère.

A83 *Ces nouvelles volèrent dans le monde entier ; nous les apprîmes à Amdoudjât⁽²⁾, au-delà de Gabès,*

A84 *à notre retour du pèlerinage. Quel bonheur, nous écriâmes-nous ! Pèlerinage un vendredi, guerre sainte ensuite.*

a86 143. — Pendant plusieurs mois la guerre eût des chances diverses ; l'étoile du bey, en se levant, plongeait l'ennemi dans le malheur.

144. — Après des négociations, ils demandèrent la paix et obtinrent l'*amân* pour leurs biens et leurs personnes.

(1) Romain IV, dit Diogène, empereur d'Orient (1070), vaincu par le Seldjouquide Alp Arslân.

(2) Amdoudjât, île de la Méditerranée, Comm. A. Probablement Lampedusa.

a88 145. — Leur séjour dans cette place
avait duré 63 ans ; de toute éternité, ce
laps avait été écrit sur les feuillets du
destin.

a89 146. — Ils détruisirent leurs maisons de
leurs propres mains⁽¹⁾ ; que cela vous serve
de leçon, ô hommes clairvoyants et au sens
droit.

a89 147. — Avant eux les Benou Nadir
avaient agi de même, comme le dit la sou-
rat Hacher⁽²⁾ ; comment les Chrétiens peu-
vent-ils imiter l'action des Juifs.

a88 148. — Ils ont abouti à la destruction
complète en suivant l'exemple de ce qui
était arrivé à Djerba et à Tunis.

a91 149. — Les Chrétiens d'Oran ont laissé
leur ville en ruines ; louange à Dieu qui
nous a mis à l'abri des surprises⁽³⁾.

(1) Après la reddition d'Oran, un grand incendie éclata dans la ville ; le Commandant de Santa-Cruz, croyant que c'était le résultat d'un ordre du Gouverneur pour la destruction des approvisionnements, contrairement à la capitulation, fit mettre le feu dans son fort. Le Gouverneur l'avait fait arrêter ; mais le bey Mohammed ayant connu les circonstances de cet incident, demanda et obtint la grâce de cet officier.

(2) Coran LIX, 2.

(3) Les Musulmans, en voyant l'incendie, redoutaient des explosions de mines.

150. — Grâce à Abou - Otmân et à
a92 Otmân⁽¹⁾ qui nous ont rendu de quoi nous
consoler de la perte de l'Espagne.

151. — Dieu a lancé notre prince contre
A93 les Chrétiens, comme pourrait être lancée
une flèche sans le secours d'un arc.

152. — Il avait établi autour des enne-
mis toutes sortes d'embûches, en em-
ployant la ruse, l'astuce, les explorateurs
et les espions.

153. — Il a purifié la forteresse de leur
a94 immense souillure. Ces hommes ignobles
ont été humiliés et renversés.

154. — Grâce au culte du Dieu unique,
la contrée d'Oran s'est élevée sur ses
coteaux purifiés du polythéisme⁽²⁾.

155. — Grâce à l'homme fortuné qui n'a
pas son égal, grâce à cette vaste intelli-
gence qui me dispense d'en dire plus long.

156. — Grâce à celui qui a pris pour
A95 manteau la décision et l'audace ; quand il
a appliqué le remède, aucune rechûte n'est
à craindre.

157. — Il a effacé les blasphèmes écrits
A96 par les partisans de l'incarnation : il a
affermi le culte du Dieu unique qui est
devenu éternel comme un habous.

(1) Le bey et son fils Otmân.

(2) حيسس mélange de lait caillé et de dattes. C'est ici
un symbole pour représenter le polythéisme.

b131 158. — Le Merdjadjou et les autres forts n'ont pu préserver Oran, pas plus que ses troupes couvertes de cuirasses et de boucliers.

a97 159. — Le Bey s'est élevé à une hauteur d'où il peut discerner le vrai du faux : le Gouverneur d'Oran a été abaissé dans la confusion.

A⁹⁸ 160. — Il n'est pas étonnant que le Bey soit arrivé à une grandeur que personne autre n'a atteinte, car son origine elle-même était entourée de grandeur.

A⁹⁹ 161. — Parmi ses aïeux, il y avait des émirs et des chefs ; leurs racines ne se sont jamais desséchées.

a100 162. — Règne longtemps sur le pays dont tu es chargé ; la terre de ton bonheur est verdoyante et tendre.

163. — Il a chassé l'avarice et la discorde ; il les a changées en générosité et bonne harmonie.

a101 164. — Tandis que le culte du Dieu unique entraînait souriant et gai dans la ville, la trinité la quittait dans la confusion.

A¹⁰² 165. — Les mécréants l'avaient tellement maltraitée que le regard attristé n'y voyait plus un ami.

A¹⁰³ 166. — Nos mosquées ont été relevées et les églises détruites ; notre appel à la vraie prière a fait taire les cloches.

a¹⁰⁴ 167. — Suivant le dire menteur de leurs évêques, Dieu avait donné une éternelle durée à leurs écoles qui ne devaient jamais disparaître.

a¹⁰⁵ 168. — Le sublime islamisme a fait disparaître tous les emblèmes qui étaient à Oran ; bon ou mauvais, il a tout chassé.

a¹⁰⁶
B¹³² 169. — La voilà florissante ! Ses campagnes sont parfumées ; ses vêtements aux riches couleurs sont teints avec le wars.

a¹⁰⁷
b¹³³ 170. — Le danger caché des filets du polythéisme n'existe plus ; l'infidélité s'est enfoncée dans les profondeurs du tombeau.

a¹⁰⁸
B¹³⁴ 171. — Le maître des mondes a rendu Oran florissante ; le flambeau de l'Islam y brille comme une flamme ardente.

A¹⁰⁹
b¹³⁵ 172. — Après un long silence, elle a proclamé l'unité de Dieu ; elle n'est plus affligée de surdité ni de mutisme.

a¹¹⁰ 173. — Toute glorieuse de notre émir Mohammed, elle s'avance en s'inclinant et balançant gracieusement ses hanches.

A¹¹¹ 174. — Quant à lui, son éclat est celui d'un jour frais et pur ; à la tête de son armée, il semble la lune entourée de son halo⁽¹⁾.

(1) Au goût de Bou-Ras, ce vers est un des plus beaux qu'il fut possible de faire en l'honneur du bey.

175. — Ses étendards planent dans l'air
 a112 comme des aigles ; autour d'eux sont les
 lances qui les défendent comme des flam-
 mes ardentes.

176. — Dans l'avenir, la fortune lui sou-
 A113 rira toujours, de même que son étoile
 brillera toujours sans s'éteindre.

177. — Tout lui obéit et suit ses désirs ;
 le bonheur est attaché à son étendard
 comme la feuille de papier à la main qui
 écrit.

178. — Grâce à l'aide du très saint Maître
 A115 (Allah), notre entrée eût lieu le lundi matin,
 cinquième jour de redjeb l'unique

179. — de la sixième année du treizième
 a116 siècle. Louanges à notre Créateur ! Que la
 plus pure des bénédictions soit sur le
 Prophète pur de toute souillure⁽¹⁾.

180. — Que Gabriel l'abreuve à la source
 A117 du Fardous, à l'aide d'un vase d'or dont le
 fond exhale le parfum d'un vin exquis⁽²⁾.

181. — Ainsi que ses compagnons que
 A118 nous ne pourrions payer, eussions-nous
 un volume d'or comme la colline de Ohod,
 ou même cinq fois plus.

(1) Abou-Bekr a dit que le Prophète était tellement pur
 que ses vêtements n'étaient jamais sales ; les mouches ne
 se posaient pas sur lui ; les personnes et les choses se par-
 fumaient à son contact. Commun. C.

(2) Allusion au Coran xxxiii, 26, Comm. C.